يا ليلة العيد

على حافة الشرفة من الطابق الثاني في ذلك البيت العتيق أمسكت منفضتها ؛ تزيل الغبار الجاثم من على الشيش منذ عام منصرم، تتحمل لفحات الهواء الباردة في صبر، وتهدهد رجفة الجسد النحيل المستجير من تجلدها على تحمل هذا البرد القارص وهي ترتدي جلباب كستور خفيفاً مبللاً بالماء، تشدو وتدندن مع شدو أم كلثوم»يا ليلة العيد أنستينا»تحلم بانتهاء مهمتها من تنظيف هذا البيت كي تحصل على أجرتها، وتحمل طفلتها فرحة لتشتري لها ملابس العيد، في حين كانت فرحة تعبث في الدلو المملوء بالماء المخلوط بالصابون، وتحاول بطفولتها أن تريح أمها من نظافة أرضية الغرفة التي تحتويهما .

منذ أن تركها الزوج وحيدة تصارع هذا الفقر المُقدع، وفر فرار الجبناء من تحمل مسئوليته، وهي تتحمل عبء الحياة، وطلبات تلك الطفلة المسكينة، وتحاول ألا تشعرها

بفقدان الأب في تلك المناسبات السعيدة، عندما يهل العيد فتحاول أن توفر لها الملبس الجديد كي تفرح كفرحة أقرانها .

تدور في البيوت كالنحلة تكنس وتمسح البلاط وتنظف الأبواب والشبابيك وتغسل السجاد في أيامٍ معدودات، تنهد فيها قواها وعافيتها من أجل بضع جنيهات يدخلن السعادة على صغيرتها، ولا تشعرها بهذا اليتم، ولكن الحلم تبخر حينما دخلت عليهما ربة المنزل ورأت فرحة فى عبثها الطفولي هذا، فنهرتها بشدة وركلتها بكل قسوة وغل :»قومي فزي بلا لعب عيال !! أنتوا جايين تنضفوا ولا توسخوا !! «

مع صرخة الطفلة الملكومة التفتت الأم بغضب محموم نحو مصدر الصوت، فاختل توازنها وصدرت منها صرخة فزعة، تحتج بكل معاناتها على قسوة هذه الحياة التي فرضها عليها واقعها الأليم، واختفت من أمامهما بجسدها النحيل المنهك، ودوت هبدة قوية، تزلزل هذا الهدوء المستبد على ما تعانيه، ويوقظ صمت الغافلين في الشارع ليهبوا لنجدتها !!

الجمعة / ١٠ ـ ٤ ـ ٢٠١٥